

## 1486- فلاح خيرى شلبى وفلاح مجلس الشعب !!!؟

## تعتة الوفد

## فلاح خيرى شلبى وفلاح مجلس الشعب !!!؟

رحل خيرى شلبى، ليحضر في وعينا أكثر وأعمق، خطفك منا يا خيرى ذلك الذى لا يستأخر ساعة ولا يستقدم، خطفك وأنت تمسك القلم على مكتبك تكتب للوفد مقالك الأسبوعى، ولو كان أخذ رأى أية مليونية من المليونيات التى ازدحمت بها مصر هذه الأيام، لفزنا بإبقتك معنا بنسبة ديمقراطية غير مسبوقه، لم يهلك صاحبنا ليسألنا كم نحن في حاجة إليك بوجه أخص هذه الأيام، على الأقل: ربما تعرف القائمون على أمرنا على من هو الفلاح المصرى ومن هو العامل من واقع إبداعك، ما دام وقتهم وخيالهم لم يسعفهم أن يتعرفوا عليه من واقع الواقع. بصراحة يا خيرى أنا أحس بإهانة شخصية حين ينطق هؤلاء بكلمة فلاح أصلا. إيش عرفهم هؤلاء بهذه الكلمة، من أصله، إهيببييه؟!

ذات أمسية فاتحت شيخى نجيب محفوظ: ألم يفكر أن يكتب عن القرية أو عن الفلاح، أظن أن ذلك كان بمناسبة مسلسل اقتبسوه من قصته "حكاية بلا بداية ولا نهاية"، (لست متأكدا) حيث بلغنى أنهم جعلوا أحداث القصة في المسلسل تدور في قرية ماء، فقال لى بأمانة نعلمها عنه جميعا أنه قاهرى صرف، وفهمت منه أنه لا يكتب عن مكان أو إنسان أو يستلهم هذا أو ذاك إلا إذا اختلط بوعيه حتى النخاع، ثم تطرق الخديث إلى المبدعين الذين كتبوا عن الفلاح المصرى بما هو، وجاء ذكر رواية الأرض لعبد الرحمن الشرقاوى، وترددت قبل أن أقول له رأيي في أنها لم تصلنى منها صورة الفلاح المصرى كما أعرفها، وأنا أدعى أننى فلاح جدا، قلت له رأيي مجذر وأنا أعلم مدى تقديره لعبد الرحمن الشرقاوى، فخييل إلى أنه وافقني حين أضاف: أنه يبدو أن الشرقاوى قدم لنا فلاحا مستوردا من الكتلة الشرقية أكثر منه الفلاح المصرى مجذوره الضاربة في التاريخ الممتدة من الأرض إلى كل السماوات، تشجعت ورحت أسأله عن الرواى الذى نجح في تجسيد الفلاح المصرى بكل كثافته وتناقضاته وحيله وطيبته وكرمه وحرصه وإصراره

ولؤمه وصبره، وذكرت له ملامح من نقدي لرواية عبد الحكيم قاسم "أيام الإنسان السبعة"، فذكرني هو بخيري شلي، وتحدث عنه بكل إعجاب واحترام، ولم أكن قد قرأته بما يكفي.

لم أعرف خيري شلي عن قرب، أول ما التقيته كان سنة 1980 حين حصل على جائزة الدولة التشجيعية في أدب الرحلات، وكان ذلك في لقاء إذاعي غالبا مع الأستاذ فاروق شوشة بمشاركة الأديب المبدع جمال الغيطاني وشخصي بمناسبة حصولنا على نفس الجائزة التشجيعية في نفس العام في الأدب الروائي، وكنت مخرجا منهما، وخاصة لما أثير حول ظروف نيلى الجائزة، وإذا بي أجدني وسط مصريين أمناء عدول يغمرنى قبولهم وكرمهم وتقديرهم، لم تصلني يومها ملامح فلح خيري العريقة كما وصلتني بعد ذلك من إبداعه، لكن وصلني تواضعه وحضور ذهنه وحدة ذاكرته.

المررة الثانية التي التقيته فيها كانت بعد أكثر من عشرين عاما حين حضر ذات يوم جمعة ليشارك الأستاذ نجيب محفوظ مجلسه المنتظم في بيتي، كان خيري ليلتها مقلا في الحديث، لكنه أشار لي وسط بضع الجمل التي تبادلناها أنه يجب أن يكون لي رأي في إنتاجه الأحدث، وفرحت، واعتبرتها شهادة أعتز بها، وتمنيت أن أفعل.

روح يا زمان، تعالي يا زمان، قرأت رائعته "لحس العتب" التي صدرت طبعتها الأولى سنة 1991. وقال عنها خيري: "إنها لم تقرأ جيدا"، وكان رأيه هذا هو الذي جعلني أبدأ نقدي المقارن لها مع "فنديل أم هاشم" ليحيي حتى بتوجيه خطابي إليه أنه "...ها نحن نحاول يا عم خيري، أن نقرأها معا لنرى لم هي "الأحب" إليك...". رحبت أجتهد في الدراسة النقدية المقارنة، وإذا بي أفاجا ليس فقط بهذا الإبداع المستحيل، بل بأني أكتشف من خلالها عن تركيب النفس الإنسانية وأمراضها وعلاجها (خاصة الشعي منه) ما عجزت عن أن أحصل عليه من كل ما مررت به من مراجع متخصصة خلال عدة عقود، فأنا أتعلم أعماق ما يهمني في تخصصي النفسي الدقيق من الأدب (ومن مرضاي) أكثر مما أتعلمه من المراجع النفسية بكل تصنيفاتها. رحبت أتعرف من جديد على أبعاد أخرى غير التي عرفتتها من ديستوفسكي ونجيب محفوظ وغيرهما، أبعاد أعمق شديدة الخركية والتكثيف لما يسمى "النفس الإنسانية" في الصحة والمرض (الجسمي والنفسي جميعا)، وطمأنتي الرواية على كثير من فروضي، كما أضافت لي معرفتي بالنفس ما عجزت كتب علمي أن تقبله ولو كفروض عاملة، كما أضافت لي الرواية ما دعم منطلقى النقدي الذي أطلقت عليه اسم "التفسير الأدبي للنفس" لأناقض به المصطلح الشائع "التفسير النفسي للأدب"، وهو المنطلق الذي بدأت أجمعه نقدا منتظما وصدري منه أول كتاب بعنوان "تبادل الاقنعة" من منشورات قصور الثقافة".

كشفت خيري في هذه الرواية بتلقائية سلسلة، وحده رائعت عن المنظور البيولوجي الإيقاعي في صورتيه الإيجابية والسلبية، وهو يتعامل بإبداع فائق مع الصحة والمرض من خلال التقابل

بين هارمونية الصحة واستلهاهم الإيقاع الحيوى الكونى مع تمام القمر، فى مقابل نشاز المرض حين يتمثل فى نيزك ضال يزيد انفصلا عن جاذبية هارمونية الصحة بالغوص فى الخرافة المتمثلة فى القاذورات المتجمعة على عتب مسجد سيدنا، انفصلا نشازا عن دوائر الذات والكون الإيقاعية الحيوية، فى مقابل ما وصل إليه حدس خيرى من إيجابية العلاج الشعى حين يرتبط بالإيقاع الحيوى، وظهور القمر وصلاة الجمعة، وقارنت كل ذلك بما ذهب إليه حدس مجبى حقى فى قنديل أم هاشم (جملة وجهات نظر مارس 2005)

أضاف لى هذا العمل إضافات أخرى تمنيت أن يصل بعضها إلى الجالس على مقاعد مجلس الوزراء فمجلس الشعب ليصله أن الإنسان (وأى موضوع) لا يوجد إلا وهو ملتحم بمكانه، فإذا حالت انشغالاتهم أن يعايشوا بعض ذلك لحما ودما ليتعرفوا على فلاحينا، فلا أقل من أن يتعلموا من مبدعينا قبل وبعد أن يرحلوا.

استطاع خيرى أن يحضر القارئ معه فى هذا العمل داخل المندرة والخزنة، وحتى تحت الترابيزة، سواء فى حركة مواكبة، أو خلال دعوة مباشرة مثل وصفه لداخل المكان، نقرأ معا: "... فإذا انفتح النصف العلوى من الشباك، ... حينئذ يندهن شكل الضحى بلون السماء الصافية، ... وما أسرع ما تفوت الشمس غارقة فى خجل الخياء تاركة فوق الخائط المواج بقعة من دماثها كالكرة الحمراء، تظل تضيق وتضيق إلى أن تمحوها ظلال المغرب، هذه الظلال التى ظلت تسكن المندرة منذ سنوات طويلة، منذ أن كفت مندرتنا عن استقبال الضيوف المهتمين .. إلخ".

لو كان الأمر بيدى، لطلبت من كل من يتصدى لإصدار الحكم تلو الآخر وهو يتفاخر بأنه يجز نسبة 50 % من المقاعد للعمال والفلاحين، لطلبت منه أن يحضر فعلا إلى حيث الفلاح ملتحما بمكانه الأصلي، أو حتى أن يقرأ من عطاء خيرى مثلا ما يسمح له أن يتمثل جلسة ضيوف عبد الودود أفندى والد فخرى حول الترابيزة المحور التى دارت حولها الرواية. صور شلى مجالس السياسة فى الريف المصرى مجيوية يفتقدها الجميع الآن، وحين عينوا والد الراوى "عبد الودود أفندى" رئيسا للوزراء ولم يفعل سوى أن هتف لوزارته باسم عائلته "تحيا الوزارة الزعلوكية" لم يردد أحد هتافه، فأقسم بالطلاق أنهم يكرهونه (بما فى ذلك من دلالات) وانتهى الموقف تقريبا بقول محمود جميل "قدر يا أخى أننا لقيناك ما تصلحشى للوزارة حانسبك ولا نرفدك"؟ كان للكفيفين الشيخ محمد بقوش (كعبلها) والشيخ زيدان زيدان (عالم الأزهر) دورهما السياسى الرائد، كذلك قدم خيرى خفة ظل الفلاحين الساخرة غالبا، جنبا إلى جنب مع قوت يومهم من الحقد الطبيعى، والشماتة الصعب إخفاؤها. ولم يفت خيرى رسم حضور الاهتمام السياسى الريفى البسيط، الذى يتجاوز الشأن المحلى إلى السياسية الخارجية (الحديث عن الحاج هتلر).

هذا هو الفلاح المصرى الحقيقى! فما هى يا ترى ملامحه الأخرى البلاستيك؟ على مقاعد مجلس الشعب؟ أو فى أعلى القوائم؟

يا أسيادى العظام: إن لم تعرفوا من هو الفلاح المصرى فى الواقع المصرى على أرضنا الطيبة فلا أقل من أن تقرأوا من كتب عنهم من المصريين المبدعين العظام، قبل أن يرحلوا عنا وفى قلوبهم تلك الغصة التى خطفت منا هذا العزيز وهو يكتب مقاله للوفد، ولعل هذه المقارنة حضرته، فقضى نحبه.

يا للخسارة!! رحمه الله، وغفر لنا.